المُحرّمُ

هَـذَا المُحَـرَّمُ قَـدْ أطَلَّ هِـلاَلُـهُ ... وَأضَـاءَ فِيـهِ جَمَـالُـهُ وَجَـلاَلُـهُ

عَبَـرَ الـزَّمَـانَ مَـرَاحِـلاً وَكَأنَّـهُ ... مُتَجَـولٌ لاَيَنْتَهِـي تِـرْحَـالُـهُ

فَلَكٌ يَـدُورُ بِنَـا وَيُسْـرِعُ لاَهِثـاً ... تَطْـوِي الحَيَـاةَ وَعُمْـرَنَـا أرْتَـالُـهُ

عَـامٌ مَضَـى وَأتَى جَـدِيـدٌ بَعْـدَهُ ... وَلَسَـوْفَ تَأتِي بَعْـدَهُ أمْثَـالُـهُ

مَـرْحَىٰ بِـوَافِـدِنَا الـذِي تَهْفُـو لَـهُ ... كُلُّ القُلُـوبِ وَيُـرْتَجَى إقْبَـالُـهُ

مَـاذَا حَمَلْـتَ لِعَـالَـمٍ مُتَقَلِّبٍ ... عَصَفَتْ بِنَـا فِي بَحْـرِهِ أهْـوَالُـهُ ؟

يَهْتَـزُّ كَـالبُـرْكَـانِ فِي هَيجَـانِـهِ ... وَيَمِيـدُ فِيـهِ جَنُـوبُـهُ وَشَمَـالُـهُ

وَيَقُـودُهُ العُلَمَـاءُ لِلْمَـوْتِ الـذِي ... يَشْقَىٰ عَلَى يَـدِهـم بِـهِ جُهَـالُـهُ !

وَنَئِنُّ نَحْنُ مِنَ الـزَّمَـانِ وَجَـورِهِ ... وَالجَـائِرُ السفّـاحُ فِيـهِ رِجَـالُـهُ !

وَلَىٰ القَـدِيمُ وَلَمْ يُحَقّق عَهْـدُهُ ... أمْنـاً، وَلاَ سَعِـدَت بِـهِ أجْيَـالُـهُ

وَأتَى الجَدِيدُ يُعِيدُ سِيرَةَ مَنْ مَضَى ... وَكَأنَّمَـا هُـوَ شَخْصُـهُ وَمِثَـالُـهُ !

لاَخَيْـرَ فِي دَاعٍ إذَا لَمْ يحْتَـرِم ... أقْـوَالَـهُ، وَتُـزَكِّهَـا أفْعَـالُـهُ !

أيَمُـوتُ طِفْلٌ فِـي نِظَـامٍ عَـادِلٍ ... وَتُصَفّقُ الأيْـدِي لِمَنْ يَغْتَـالُـهُ ؟

أيَعِيشُ شَعْبٌ فِي الخِيَـامِ مُشَـرّداً ... وَيُـدَاسُ مَسْجِـدهُ، وَيُنْهَـبُ مَـالُـهُ

وَحُمَـاةُ هَـذَا العَهْدِ تَـرْقُبُ مَـوْتَـهُ ... وَيَسـرُّهَـا أنْ تَنْطَـوِيَ أجَـالُـهُ !

— * * —

يَـاوَافِـــداً مَـــاذَا حَمَلْتَ لِعَـــالَمٍ ... مُتَطَلِّعٍ لَـمْ تَسْتَقِم أحْـــوَالُـــهُ ؟

الحُـــرُّ فِيـــهِ مُطَـــارَدٌ لاَيَنْتَهِي ... - وَإنْ انحَنَى - لِمُـذِلِـهِ إذْ لاَلُـهُ

حَقٌّ بِـأنْ يَشْقَى لِيُسْعِـدَ غَيْـرَهُ ... وَبَأنْ تَـدُومَ وَإنْ أبَـى أغْـلاَلُـهُ

وَبِأنْ يَعِيشَ مُقَـزَّمـــاً فِي قُمْقُمٍ ... تُحْصَىٰ عَلَيْـهِ كُنُـوزُهُ وَغِـلاَلُـهُ

وَالشَّـرْقُ يَمْتَصُّ الجِـرَاحَ وَيَشْتَكِي ... مِنْ فُـرْقَـةٍ وَهَنَـتْ بِهَـا أوْصَـالُـهُ

مُتَمَـزِّقٌ وَخُصُـومُـهُ فِـي خَنْـدَقٍ ... وَالخُلْفُ دَاءٌ لاَيَـزُولُ عُضَـــالُـــهُ

قَـدْ كَـانَ يَخْطُـبُ وُدَّهُ وَيَخَـافُـهُ ... مَنْ خَـاصَمُـوهُ وَلاَ يُطَـاقُ نِـزَالُـهُ

وَمَنَـارَةً لِلْعِلْمِ وَاضِحَـةَ الهُـدَى ... فِي عَـالَمٍ غَطّى عَلَيْـهِ ضَـلاَلُـهُ

مَجْـدٌ إذَا مَـــا أنْكَـرُوهُ فَهَـــذِهِ ... فِي كُلّ أرْضٍ - حَيـةً أطْـلاَلُـهُ

— * —

ذَكَّـرْتَنِي يَـاوَافِـداً عَهْـداً مَضَى ... مُتَألِّقـــاً رَفّتَ عَلَيَّ ظِـــلاَلُـــهُ

يَسْرِي إلَيَّ شَـذَاهُ مِنْ أرْضِ الهُدَىٰ ... عَبقـاً وَنُـوراً فِي الفُـؤَادِ مَجَـالُـهُ

مُـذْ هَـزَّ يَثْـرِبَ حَـادِثٌ لَمـا يَـزَل ... مِلَء القُلُـوبِ وَفِي العُيُـونِ خَيَالُـهُ

بَـرَزَتْ مَـوَاكِبُهَـا تُعَـانِـقُ وَافِـداً ... لِلّـهِ هِجْـرَتُـهُ، وَفِيـهِ نِضَـالُـهُ

غَنَّتْ مَـوَاكِبُهَـا لَـهُ أَلْحَـانَهَـا ... طَـربـاً، وَطَيَّبتِ التّـرابَ رِحَـالُـهُ

وَارْتَـادَ رَاعِيهَـا الـرِّمَـالَ فَـرَاعَـهُ ... مِنْ حَـوْلِـهِ مَـا أنْبَتَتْـهُ رِمَـالُـهُ

وَزَكَت شَمَـارِيخُ النّخِيلِ وَبُـورِكَت ... بِقُـدُومِ مَنْ أحْيَـا الوَرَى إرْسَـالُـهُ

فَكَأنَّمَـــا حَلَّ الـــرَّبِيعُ بِيَثْـــرِبٍ ... وَاخْتَـالَ فِي أعْـرَاسِهَـا مُخْتَـالُـهُ

وَبَنَى بِهَـا لِلّـهِ مَسْجِـدَهُ الـذِي ... أعْلَى نِـدَاءَ اللّـهِ فِيـهِ بِـلاَلُـهُ !

دَوّى صَـدَاهُ مُجَلْجِـلاً فِي وَاحِهَـا ... وَانْسَـابَ فِـي أعْمَـاقِهَـا إجْـلاَلُـهُ

وَاللَّـهُ أكْبَـرُ فِـي المَـآذِنِ صَيْحَـةٌ ... لِلشِّـرْكِ تُعْلِنُ أنَّهَـا زَلْـزَالُـهُ !

وَتَقَـاطَـرَت سُورُ الكِتَـاب بِيَثْـرِبٍ ... وَجَـرَى عَلَى الهَـادِي بِـهِ إنْـزَالُـهُ

وَتَعَـانَقَتَ فِيهَـا قُلُـوبٌ طَـالَمَـا ... احْتَـدَمَ العَـدَاءُ بِهَا وَثَـارَ جِـدَالُـهُ

خَسِيَ اليَهُـودُ بِيَثْـرِبٍ لَمَّـا رَأوْا ... فِيهَـا النَّبِيَّ وَحَـوْلَـهُ أشْبَـالُـهُ

نَـذَرُوا لِنُصْـرَةِ دِينِـهِ أرْوَاحَهُم ... فَهُمُـو دُرُوعُ مُحَمَّـدٍ وَنِصَـالُـهُ !

يَقِفُـونَ فِي الأسْحَارِ خَلْفَ مُحَمَّـدٍ ... صَفـاً، وَتَجْمَعُهُم بِـهِ آصَـالُـهُ

وَبَـدَا البِنَـاء لِـدَوْلَـةٍ عَـرَبِيَـةٍ ... مُثُلِى، وَقُـدِرَ لِلْبِنَـاء كَمَـالُـهُ

فَتَفَتَّحَتْ أبْـوَابُ مَكَّـةَ وَانْحَنَتْ ... أصْنَـامُ شِـرْكٍ وَانْطَـوَتْ أقْيَـالُـهُ

وَالـدِّيـنُ يُسْـرٌ لاَ التِـزَامٌ مُـرْهِقٌ ... تُـؤذِّي النُّفُوسَ إذَا اهْتَـدَت أثْقَالُـهُ

وَالنَّـاسُ إخْـوَانٌ سَـوَاسِيَـةٌ بِمَـا ... يَـدْعُـو إلَيْـهِ حَـرَامُـهُ وَحَـلاَلُـهُ

بِـالحُبِّ جَـاءَ، وَبِـالعَـدَالَـةِ والتُّقَى ... وَلِمَبْـدَإِ التَّـوْحِيـدِ كَـانَ قِتَـالُـهُ

وَمَضَى وَقَـدْ أرْسَى قَـوَاعِدَ دَوْلَـةٍ ... كَـانَ المُضِيَّ لِنَهْجِهَـا أعْمَـالُـهُ

— * —

مَـاكُنْتَ إلاَّ مِنْحَـةً مِنْ رَبِّنَـا ... لِيَرى الطَّـرِيقَ إلَى الهُدَى ضُـلاَّلُهُ

بَلَّغْتَ أمْـرَ اللَّـهِ غَيْـرَ مُقَصِّـرٍ ... وَفَتَحْتَ مَـا قَـدْ أُغْلِقَـتْ أقْفَـالُـهُ

وَنُصِـرْتَ بِـالرُّعْب الـذِي أُعْطِيْتَـهُ ... فَكُفِيتَ مَـا بِـالسَّيْـفِ كُنْتَ تَنَـالُـهُ

فِيكَ المَـدِيـحُ يَطِيبُ إلاَّ أنَّـهُ ... يَـدْنُـو إلَيْكَ فَتَسْتَحْـي أزْجَـالُـهُ

إنْ لَمْ يَكُنْ بِفَمِي وَشِعْرِي فَهْوَ فِي ... قَلْبِي هَـوىً مُتَـدَفِّقٌ شَـلاَّلُـهُ

يَهْنِي فُـؤَادِي أنَّـهُ بِـكَ مُـومِنٌ ... وَعَلى يَـدَيكَ سَتَنْتَهِي أوْجَـالُـهُ

فَـاضْـرَعْ لِـرَبِّـكَ أنْ يَمُنَّ بِتَـوْبَـةٍ ... تُنْجِي فَإنَّكَ مَـنْ يُجَـابُ سُـؤالُـهُ

وَاشْفَعْ فَـإنَّك مَنْ تُشَفَّعَ يَـــوْمَ لاَ ... لاَ يَفْـدِي الغَنِيَّ إذَا افْتَـدَى أمْوَالُـهُ

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّـــهُ فِي مَلَكُــوتِــهِ ... وَجَـزَاكَ مَـا تُجْـزَى بِـهِ أرْسَـالُـهُ

— ❋ — ❋ —

يَـاوَافِـدَ الخَيْـر ! الـذِي نَهْفُـو لَـهُ ... مُتَطَلِّعِينَ، مَتَى يَحِيـنُ مَنَـالُــهُ ؟

لاَ يَأسَ فِي هَـذِي الحَيَــاة لَكَـائِنٍ ... مَــا لَم تَمُت فِي قَلْبِــه آمَـالُــهُ !